سـورة القيامة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قيل: إن ﴿لا﴾ صلة، وجاز وقوعها فى أوّل السورة؛ لأن القرآن متصل بعضه ببعض، فهو فى حكم كلام واحد؛ ولهذا قد يذكر الشيء فى سورة ويجيء جوابه فى سورة أخرى؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] وجوابه فى سورة آخرى: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]، ومعنى الكلام: أقسم بيوم القيامة؛ قاله ابن عباس وابن جبير[1] وأبو عبيدة؛ ومثله قول الشاعر:

تذكَّرتُ لَيْلَى فاعترتني صَبَابَةٌ ... فكاد صميمُ القلب لا يَتَقَطَّعُ

وحكى أبو الليث السَّمرقندي: أجمع المفسرون أن معنى: ﴿لا أُقْسِمُ﴾: أقسم، واختلفوا فى تفسير ﴿لا﴾ قال بعضهم: «لا» زيادة فى الكلام للزينة، ويجرى فى كلام العرب زيادة ﴿لا﴾ كما قال فى آية آخرى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] يعني: أن تسجد، وقال بعضهم: ﴿لا﴾ ردٌّ لكلامهم حيث أنكروا البعث، فقال: ليس الأمر كما زعمتم.

قلت: وهذا قول الفرّاء، وقال الفراء: وكثير من النحويين يقولون: «لا» صلة، ولا يجوز أن يُبدأ بجحد ثم يجعل صلة؛ لأن هذا لو كان كذلك لم يعرف خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه، ولكن القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار، فجاء الإقسام بالردّ عليهم فى كثير من الكلام المبتدأ منه وغير المبتدأ وذلك كقولهم: لا والله لا أفعل، فـ «لا» ردٌّ لكلام قد مضى، وذلك كقولك: لا والله إن القيامة لحق، كأنك أكذبت قومًا أنكروه، وأنشد غير الفرّاء لامرئ القيس:

فلا وأبيكِ ابنةَ العامِرِيِّ ... لا يَدَّعِي القومُ أنِّي أفِرّ

وقال غُوَيَّةُ بن سلمى:

ألا نادتْ أمامةُ باحتمال ... لتحزُنَني فلا بِكِ ما أبالي

وفائدتها توكيد القسم فى الردّ، قال الفراء: وكان من لا يعرف هذه الجهة يقرأ «لأقسمُ» بغير ألف[2]؛ كأنها لام تأكيد دخلت على أقسم، وهو صواب؛ لأن العرب تقول: لأقسم بالله وهي

(١) حسن إن سلم من عنعنة ابن جريج: الطبري (٢٩/ ١٨٣) في تفسيره.
(٢) قراءة متواترة: كما في الإقناع (٢/ ٧٩٨).

قراءة الحسن وابن كثير والزهري وابن هُرْمز ، ﴿ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ أي: بيوم يقوم الناس فيه لربهم ، ولله عز وجل أن يقسم بما شاء ، ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ لا خلاف فى هذا بين القراء ، وهو أنه أقسم سبحانه بيوم القيامة تعظيمًا لشأنه ،وعلى قراءة ابن كثير أقسم بالأولى ولم يقسم بالثانية : وقيل : ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ ردّ آخر وابتداء قسم بالنفس اللوامة ، قال الثعلبيّ :والصحيح أنه أقسم بهما جميعًا ، ومعنى :﴿بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ أى بنفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه، يقول : ما أردتُ بكذا ؟ فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه ؛ قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم ، قال الحسن : هي والله نفس المؤمن ، ما يُرَى المؤمن إلا يلوم نفسه : ما أردتُ بكلامي ؟ ما أردتُ بأكلى ؟ ما أردتُ بحديث نفسي ؟ والفاجر لا يحاسب نفسه [١] ، وقال مجاهد : هي التي تلوم على ما فات وتندم ، فتلوم نفسها على الشر : لِمَ فعلته ؟ وعلى الخير لم لا تستكثر منه؟ [٢] ،وقيل: إنها ذات اللوم ، وقيل : إنها تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها ؛ فعلى هذه الوجوه تكون اللوّامة بمعنى اللائمة ، وهو صفة مدح ؛ وعلى هذا يجيء القسم بها سائغًا حسنًا ، وفى بعض التفسير : إنه آدم عليه السلام لم يزل لائمًا لنفسه على معصيته التى أخرج بها من الجنة ، وقيل اللوّامة بمعنى المُلومة المذمومة ـ عن ابن عباس أيضًا [٣] فهي صفة ذمّ وهو قول من نفى أن يكون قسما ؛ إذ ليس للعاصي خَطَر يُقْسم به ، فهي كثيرة اللوم ، وقال مقاتل : هى نفس الكافر يلوم نفسه ، ويتحسرّ فى الآخرة على ما فرط فى جنب الله ، وقال الفراء : ليس من نفس محسنة أو مسيئة إلا وهي تلوم نفسها ؛ فالمحسن يلوم نفسه أن لو كان ازداد إحسانًا ، والمسيء يلوم نفسه ألا يكون ارعوى عن إساءته.

قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ فنعيدها خلقًا جديدًا بعد أن صارت رُفاتًا ، قال الزجاج : أقسم بيوم القيامة ،بالنفس اللوّامة : ليجمعن العظام للبعث ، فهذا جواب القسم ، وقال النحاس : جواب القسم محذوف أي: لتبعثنّ ؛ ودلّ عليه قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ للإحياء والبعث ، والإنسان هنا الكافر المكذّب للبعث ، والآية نزلت فى عدى بن ربيعة قال للنبي ﷺ :حدثني عن يوم القيامة متى تكون ؟ وكيف أمرها وحالها ؟ فأخبره النبي ﷺ بذلك ، فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن به ، أو يجمع الله العظام ؟! ولهذا كان النبي ﷺ يقول: « اللهّم اكفني جارَى السُّوءِ عدىَّ بن ربيعة ، والأخنس بن شَرِيق » [٤] ، وقيل : نزلت فى عدوّ الله أبى جهل حين أنكر البعث بعد الموت[٥] ، وذكر العظام والمراد نفسه كلها ؛ لأن العظام قالبَ الخَلْق ﴿ بَلَىٰ ﴾ وقف حسن، ثم تبتدئ ﴿ قَادِرِينَ ﴾ ، قال سيبويه : على معنى نجمعها

---

(١) صحيح إلى الحسن : وقد رواه ابن كثير (٨/ ٢١٦) في تفسيره من طريق قُرَّة بن خالد وهو ثقة روى له الشيخان، وعزاه السيوطي (٦/ ٤٦٤) في الدر المنثور لابن أبي الدنيا في محاسبة النفس .

(٢) صحيح إلى مجاهد : الطبري (٢٩/ ١٨٥) في تفسيره .

(٣) ضعيف : للانقطاع بين علي بن أبي طلحة ، وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كما في تفسير الطبري (٢٩/ ١٨٥) .

(٤) ضعيف : الواحدي (ص٣٨٣) في أسباب النزول بلا سند ، وقد وجدته متفردًا به لم يروه غيره .

(٥) لم أجده هكذا .

قادرين ، فـ «﴿ قَادِرِينَ ﴾حال من الفاعل المضمر فى الفعل المحذوف على ما ذكرناه من التقدير، وقيل: المعنى: بلى نقدر قـادرين. قال القراء ﴿ قَادِرِينَ ﴾ نصب على الخروج من« تجـمع » أي: نقدر ونقوى «قادرين » على أكثر من ذلك ،وقال أيضًا : يصلح نصبه على التكرير أى: ﴿بَلَىٰ﴾ فليحسبنا قادرين ، وقيل : المضمر كنا أى: كـنا قادرين فى الابتداء ،وقد اعترف به المشركـون ، وقرأ ابن أبي عَبْلة وابن السَّمَيْقَع « بَلَى قَـادِرُونَ» بتأويل نحن قادرون، ﴿عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ البنان عند العرب : الأصابع ، واحدها بنانه ؛ قال النابغة :

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كأنَّ بَنَانَهُ عَنَمٌ يَكادُ مِن اللَّطَافةِ يُعْقَدُ

وقال عنترة :

وأنَّ الموتَ طَوْعَ يدي إذا ما وَصَلْت بَنَانَهَا بِالهِنْدُوَانِيْ

فنّبه بالبنان على بقية الأعضاء ، وأيضًا فإنها أصغر العظام ، فخصّها بالذكر لذلك ، قال القتبى والزجـاج : وزعموا أن الله لا يـبعث الموتى ولا يقـدر على جمع العظام ؛ فـقال الله تعـالى : بلى قادرين على أن نعيد السُّـلاميات على صغرها ، ونؤلف بينها حتى تستـوى ، ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار أقـدر ، وقال ابن عباس وعامـة المفسرين : المعنى ﴿عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ أى: نجعل أصابع يديه ورجليه شيئًا واحدًا كخف البـعير ، أو كحافر الحمار ، أو كظلف الخنزير ، ولا يمكنه أن يعمل به شيئًـا ،ولكنا فرّقنا أصابعه حتى يأخـذ بها ما شاء [١] وكان الحسن يقـول :جعل لك أصابع فأنت تبسطهن ، وتقبضهن ، ولو شاء الله لجمعهن فلم تنق الأرض إلا بكفيك [٢] ، وقيل: أى نقدر أن نعيد الإنسان فى هيئة البهائم ، فكيف فى صورته التي كان عليها ؛ وهو كقوله تعالى : ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١﴾ [الواقعة].

قلت : والتأويل الأولّ أشبه بمساق الآية ، والله أعلم .

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ ، قال ابن عباس : يعني الكـافر يكذّب بما أمامه من البعث والحـساب [٣] ، وقاله عبـد الرحمن بن زيد ؛ودليله: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ أى: يسأل متى يكون ! على وجه الإنكار والتكذيب فهو لا يقنع بما هو فيه من التكذيب ولكن يأثم لما بين يديه ومما يدل على أن الفجور : التكذيب [٤] ما ذكره القُتَبِيّ وغيره : أن أعـرابيًّا قصد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وشكا إليه نَقْب [٥] إبله ودَبَرها [٦] ،وسأله أن يحمله على غيرها فلم يحمله ؛ فقال الأعرابيْ :

أَقْسمَ بِاللَّهِ أبو حفصِ عُمَرْ ما مَسَّها من نَقَبٍ ولا دَبَرْ

فاغفر له اللّهم إنْ كان فَجَرْ [٧]

---

(١) ضعيف إلى ابن عباس من كل طرقه: فـفيه ابن حميد وهو متهم ،وفيه جهالة إلى سـعيد بن جبير ، ثم روى من طريق العَوْفيين كما في تفسير الطبري (٢٩/ ١٨٦) .

(٢) صحيح إلى الحسن : تفسير الطبري (٢٩/ ١٨٦).

(٣) منقطع : بين علي بن أبي طلحة ، وابن عباس ـ رضي الله عنهما: السابق (٢٩/ ١٨٨) .

(٤) حسن إليه : السابق (٢٩/ ١٨٧) .

(٥) الثقب : قطع متفرقة من الجرب ،وقيل: هو الجرب . اللسان « ثقب ».

(٦) الدَّبر :الجرح يكون في ظهر البعير : اللسان « دبر ».

(٧) انظر :تفسير الماوردي (٦/ ١٥٢) وهو النكت والعيون . =

يعني: إن كان كذبني فيما ذكرت ، وعن ابن عباس أيضًا : يعجِّل المعصية ويسوِّف التوبة ، وفي بعض الحديث ، قـال : يقول سوف أتوب ولا يتوب ؛ فـهو قد أخلف فكذب ، وهذا قول مـجاهد والحسن وعكرمة والسّدي وسعيد بن جبير [١] ، يقول :سوف أتوب ، سوف أتوب، حتى يأتيه على أشر أحواله، وقال الضحاك : هو الأمل ، يقول: سوف أعيش وأصيب من الدنيا ،ولا يذكر الموت، وقـيل : أي يعزم على المعـصيـة أبدًا وإن كـان لا يعيش إلا مـدّة قليلة ، فـالهاء على هذه الأقـوال للإنسان،وقيل : الـهاء ليوم القيامـة ، والمعنى: بل يريد الإنسان ليكفر بالحق بين يدي يوم القـيامة ، والفجور أصله الميل عن الحقّ ، ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ أي: متى يوم القيامة .

﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ قرأ نافع وأبان عن عـاصم: « بَرَقَ » بفتح الراء [٢] ،معناه: لمع بصره من شدّة شخوصه ، فتراه لا يَطرف ، قال مجاهد وغيره : هذا عند الموت [٣] ،وقال الحسن : هذا يوم القيامة [٤] ، وقال فيه معنى الجواب عما سـأل عنه الإنسان كأنه قال: يوم القيامة ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ والباقـون بالكسر ﴿ بَرِقَ ﴾ ومعنـاه : تحيرّ فلم يـطرِف ؛ قاله أبو عـمرو والزجاج وغيرهما ، قال ذو الرمّة :

ولو أنّ لُقْمَانَ الحكيم تَعَرَّضَتْ لعينيهِ مَيٌّ سافراً كاد يَبْرَقُ

الفرّاء والخليل: ﴿ بَرِقَ ﴾ بالكسر: فَزِع وبُهِت وتَحيرَّ ، والعرب تقـول للإنسان المتحير المبهوت: قد برِقَ فهو برِقٌ ؛وأنشد الفراء :

فنَفْسَكَ فانْعَ ولا تنعَني وداوِ الكُلُومَ ولا تَبْرِقِ

أي :لا تَفزَع من كثرة الكُلُوم التي بك ، وقيل : بَرَقَ يَبْرق بالفتح: شقّ عـينيه وفتحهما ، قاله أبو عبيدة ؛ وأنشد قول الكلابيّ :

لما أتاني ابنُ عُمَيرٍ راغِباً أعطيتُه عِيساً صِهاباً فبَرَقَ

أي: فتح عينيه ،وقيل: إن كسر الراء وفتحها لغتان بمعني .

قوله تعالى: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ أي ذهب ضوؤه ،والخسوف في الدنيا إلى انجلاء وبخلاف الآخرة؛ فإنه لا يعود ضـوؤه ، ويحتمل أن يكون بمعنى غاب ؛ ومنـه قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص:٦١] وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى والأعرج: « وَخُسِفَ القَمَرُ » بضم الخاء وكسر السين يدل

= وفتح القدير (٧/ ٣٦٣) للشوكاني ،والقصة في مسـند الحارث (٢/ ٨٩٥) من زوائد الهيثمي وفيه انقطاع ، وذكره الطبري (٢/ ٥٦٦) من طريق الشعبي ، عن عمر وفيه انقطاع أيضًا .

(١) انظر: الطبري (٢٩/ ١٨٨) في تفسيره ، وفتح البارى (٦/ ٣٠٠) لابن حجر وعزاه لابن أبي حـاتم في تفـسيره من طرق حسنة .

(٢) قراءة متواترة : كما في الإقناع (٢/ ٧٩٨) .

(٣)صحيح إلى مجاهد : الطبري (٢٩/ ١٩٠) في تفسيره .

(٤) وأرى هذا هو الصحيح إن شاء الله .

عليه﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ ، وقال أبو حاتم مـحمد بن إدريس : إذا ذهب بعضه فـهو الكسوف ، وإذا ذهب كله فهو الخسوف ،﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أي : جمع بينهما فى ذهاب ضـوئهما ، فلا ضوء للشـمس كمـا لا ضوء للقـمر بعد خـسوفـه ؛ قاله الفـراء والزجاج ، قال الفـراء : ولم يقل جمعت؛ لأن المعنـى: جمع بينهما ، وقال أبو عـبيدة : هو على تغليب المذكر ، وقـال الكسائي: هو محـمول على المعنى ، كأنه قـال الضوءان : المبرد : التـأنيث غير حقـيقي ، وقال ابن عـباس وابن مسعود : جمع بينهما أى قرن بينهما فى طلوعهما من المغرب أسودين مُكورَين مظلمين مقرَنَين كأنهما ثوران عقيران[١] ، وقد مضى الحديث بهذا المعنى فى آخر سورة « الأنعام» [٢]، وفى قراءة عبد الله : « وجُمِعَ بَيْنَ الشَّمْس والقَمَرِ » [٣] ،وقال عطاء بن يسار : يجـمع بينهما يوم القيامـة ثم يقذفان فى البحـر ، فيكونان نار الله الكبـرى ، وقال على وابن عبـاس : يجعـلات فى نور الحجب[٤] ، وقد يجمعـان فى نار جهنم ؛ لأنهما قد عـبدا من دون الله ولا تكون النار عذَابًا لهما لأنهـا جماد ، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة فى تبكيت الكافرين وحسرتهم [٥] ، وفى مسند أبي داود الطيالسىّ ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك يرفعه إلى النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشمس والقمر ثوران عقيران فى النار » [٦] .وقيل : هذا الجمع يجتـمعان ولا يفترقان ويقربان مـن الناس فيلحقهم العرق لشدّة الحر ؛ فكأن المعنى يجمع حرهما عليـهم ، وقيل: يجمع الشمس والقمر ، فلا يكون ثَمَّ تعاقب ليل ولا نهار .

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ ؟ أي: يقول ابن آدم ، ويقال : أبو جهل ؛أي: أين المهرب ؟ قال الشاعر :

أين المفرُّ والكِباشُ تَنتطحْ وأيُّ كَبْشٍ حاد عنها يَفْتَضِحِ

الماورديّ : وحتـمل وجهين : أحـدهما :﴿ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ من الله استـحياء مـنه ، والثاني : ﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ من جهنم حـذرًا منها ، ويحتمل هذا الـقول من الإنسان وجهين : أحـدهما : أن يكون من الكافر خـاصة فى عرضة القـيامة دون المؤمن ؛ لثقـة المؤمن ببشرى ربه . الثـاني: أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها ، وقراءة العامة: ﴿الْمَفَرُّ﴾ بفتح الفاء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لأنه مصدر ، وقرأ ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة بكسر الفاء مع فتح الميم؛ قال الكسائي : هما لغـتان مثل مَدَبّ ومَدِبّ ، ومَصَحّ ومصِحّ ، وعن الزهري بكـسر الميم وفتح الفاء، المهُدوىّ : من فتح الميمِ والفاء من ﴿الْمَفَرُّ﴾ فهو مصدر بمعنى الفـرار ، ومن فتح الميم وكسر الفاء ، فهو الميم وكسر الفاء فهو الموضع الذى يفرّ إليه ، ومن كسر الميم وفتح الفاء فهو الإنسان الجيدّ الفرار؛

---

(١) ذكره ابن كثير (٨/ ٢١٦) في تفسيره ، وألمح إليه الطبري (٢٩/ ١٩٠) في تفسيره.

(٢) عند الآية (١٥٨) .

(٣) قراءة غير متواترة : وذكرها الطبري (٢٩/ ١٩٠) بلفظ:(فيما ذكر لى)وهو يفيد الضعف

(٤) وكذا ذكره الآلوسي (٢١/ ٤٦٥) في تفسيره ، وأبو حبان (١٠/ ٣٩٣) في البحر المحيط .

(٥) هذا كلام الخطابي ـ رحمه الله ـ ونقله ، عنه ابن حجر (٦/ ٣٠٠) في فتح الباري .

(٦) ضعـيف جـدًا : وصحّ من طريق آخر : أمـا رواية المصنف فعند الـطيالسي (٢١٠٣) في مـسنده بسند فيـه يزيد الرقاشـي وهو ضعيـف جدًا ، وقد رواه البـخاري (٣٢٠٠) في بدء الخـلق ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ :« الشمس والقمر مكوران يوم القيامة».

فالمعنى: أين الإنسان الجيّد الفرار، ولن ينجو مع ذلك .

قلت : ومنه قول امرئ القيس :

مِكَرّ مفرّ مُقْبل مُدْبرٍ معاً [١]

يريد أنه حسن الكرّ والفرّ جيّده ، ﴿كَلَّا﴾ أى: لا مفرّ فـ ﴿كَلَّا﴾ ردٌّ وهو من قول الله تعالى ، ثم فسر هذا الردّ فقال : ﴿لَا وَزَرَ﴾ أي: لا ملجا من النار ، وكان ابن مسعود يقول : لا حصن [٢] ، وكان الحسن يقول : لا جبل [٣] ، وابن عباس يقول : لا ملجأ [٤] ، وابن جبير : لا محيص ولا منعة [٥] .

المعنى :فى ذلك كله واحد ، وَالوَزَرُ فى اللغة : ما يلجأ إليه من حصنٍ أو جبل أو غيرهما ؛ قال الشاعر :

لَعَمْري ما لِلفتى مِن وَزَرْ مِنَ المَوتِ يُدْرِكُه والكِبَرْ

قال السدي [٦] : كانوا فى الدنيا إذا فزِعوا تحصنُوا فى الجبال ، فقال الله لهم : لا وزر يعصمكم يومئذ منّى ؛ قال طرفة :

وَلَقَدْ تَعْلَمُ بَكْرٌ أَنَّنَا فاضِلُوا الرَّأيِ وَفي الرَّوْعِ وَزَرْ

أى ملجأ للخائف ،ويروى: وَقَرٌ ، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ أى: المنتهي ؛ قاله قتادة [٧] ، نظيره: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (٤٢)﴾ ، وقال ابن مسعود [٨] : إلى ربك المصير والمرجع ، قيل : أى المستقرّ فى الآخرة حيث يقرّه الله تعالى ؛ إذ هو الحاكم بينهم ، وقيل : إن ﴿كَلَّا﴾ من قول الإنسان لنفسه إذا علم أنه ليس له مفرّ قال لنفسه: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ قوله تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ﴾ أى: يخبر ابن آدم برًا كان أو فاجرًا ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أى: بما أسلف من عمل سَيِّء أو صالح، أو أخَّر من سنة سيّئة أو صالحة يُعمل بها بعده ، وقاله النخعيّ، وقال ابن عباس وابن مسعود [٩] .
روي منصور ، عن مجاهد [١٠] قال: ينبأ بأوّل عمله وآخره ، وقاله النخعيّ، وقال ابن عباس أيضًا : أى بما قدم من المعصية ، وأخرَ من الطاعة ، وهو قول قتادة [١١] وقال ابن زيد : ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ من أمواله لنفسه ﴿وَأَخَّرَ﴾: خلّف للورثة [١٢] ،وقال الضحاك : ينبأ بما قدّم من فرض ، وأخر من فرض ، قال القشيري : وهذا الإنباء يكون فى القيامة عند وزن الأعمال ، ويجوز أن يكون عند الموت .

قلت : الأوّل أظهر ؛ لما خرجه ابن ماجه فى سننه من حديث الزهري ، حدثني أبو عبد الله

---

(١) صدر بيت ،وعجزه : كَجلمُود صَخرٍ حَطَّه السَّيلُ من عَلِ

(٢ـ ٥) كلهم صحاح إلى أصحابهم إلاّ ابن عباس في السند إليه ضعيف جدا فقد رواه الطبري (٢٩/ ١٩١) من طريق العوفيين ، وانظر :الدر المنثور (٦/ ٤٦٦) للسيوطي .

(٦) حسن إليه .

(٧) صحيح إلى قتادة : الطبري (٢٩/ ١٩٣) في تفسيره . (٨) تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٣٥١) .

(٩) فيه ضعف عن ابن مسعود : فقد حدث عنه زياد ابن أبي مريم وفيه جهالة وانقطاع كما في الميزان (٣/ ١٣٦) وانظر الطبري (٢٩/ ١٩٤) وأثر ابن عباس من طريق العوفيين فالإسناد تالف .

(١٠) صحيح إلى مجاهد: انظر: تفسير الطبري(٢٩/ ١٩٤).

(١١، ١٢) صحيحان إليها .

الأغر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ مما يَلْحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا علمه ونَشره ، وولدًا صالحًا تركه ، أو مصحفًا ورثه أو مسجدًا بناه ، أو بيتًا لابن السبيل بناه ، أو نهرا أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته» (١) ،وخرجه أبو نعيم الحافظ بمعناه من حديث قتادة عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ: « سبع يجرى أجرهنّ للعبد بعد موته وهو فى قبره : من علّم علمًا أو أجرى نهرًا أو حفر بئـرًا أو غرس نخلا أو بنى مسجدًا أو ورَّثَ مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته» (٢) فقوله: « بعد موته وهو فى قبره» نصّ على أن ذلك لا يكون عند الموت وإنما يخبر بجميع ذلك عند وزن عمله ،وإن كان يبشر بذلك فى قبره، ودل على هذا أيضًا قوله الحق: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] ،وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥] ،وهذا لا يكون إلا فى الآخرة بعد وزن الأعمال، والله أعلم.

وفى الصحيح : « من سنّ فى الإسلام سنة حسنةً ؛ كان له أجرها وأجر من عمل بها وبعده ، من غير أن يُنقَص من أجورهم شيء ، ومن سنّ فى الإسلام سنة سيئةً؛ كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » (٣) .

﴿ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ قال الأخفش : جعله هو البصيرة ،كما تقول للرجل: أنت حجة على نفسك ،وقال ابن عباس (٤) : ﴿بَصِيرَةٌ﴾ أى :شاهد ،وهو شهود جوارحه عليه: يداه بما بطش بهما ، ورجلاه بما مشى عليهما ،وعيناه بما أبصر بهما ،والبصيرة: الشاهد ،وأنشد الفرّاء:

كأنّ على ذي العقلِ عَيْناً بصيرةً بمعقده أو مَنْظَرٍ هو ناظره
يُحاذِرُ حتى يَحسبَ الناسَ كلَّهمْ من الخوف لا تَخفَى عليهم سَرَائرُه

ودليل هذا التأويل من التنزيل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] ،وجاء تأنيث البصيرة لأن المراد بالإنسان هاهنا الجوارح ؛ لأنها شاهدة على نفس الإنسان ؛ فكأنه قال : بل الجوارح على نفس الإنسان بصيرة ؛ قال معناه القتبي وغيره ، وناس يقولون: هذه الهاء فى قوله: ﴿بَصِيرَةٌ﴾ هي التي يسميها أهل الإعراب هاء المبالغة، كالهاء فى قولهم: داهية وعلامة وراوية ، وهو قول أبي عبيدة ، وقيل المراد بالبصيرة : الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير أو شر ، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ فيمن جعل المعاذير السُّتور ، وهو قول السّدي والضحاك (٥) ،وقال بعض أهل التفسير : المعنى: بل على الإنسان من نفسه بصيرة؛ أي:

(١) حسن : ابن ماجه (٢٤٢) في المقدمة ، وحسنه الألباني هناك (ص٦٠) ، ط ـ الرياض ، وفي الإرواء (٦/ ٢٩).
(٢) حسن بالسابق : وانظر :صحيح الجامع (٣٦٠٢) للألباني ـ رحمه الله ، وصحيح الترغيب (٧٤) له أيضًا .
(٣) صحيح : مسلم (١٠١٧/ ٦٩، ٦٩مكرر ـ ٧٠، ٧١) في الزكاة ، عن جرير ـ رضي الله عنه .
(٤) ضعيف : الطبري (٢٩/ ١٩٥) من طريق العوفيين وفيها ضعف وجهالة . .
(٥) الطبري (٢٩/ ١٩٦) في تفسيره ، وأثر الضحاك رواه ابن المنذر كما في الدر المنثور (٦/ ٤٦٧) للسيوطي .

شاهد فحذف حرف الجر ، ويجوز أن يكون ﴿ بَصِيرَةٌ﴾ نعتًا لاسم مؤنث فيكون تقديره: بل الإنسان على نفسه عين بصيرة ، وأنشد الفراء :

كأنَّ على ذي العقلِ عيناً بصيرةً

وقال الحسن في قوله تعالى : ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ أي: بصيرة بعيوب غيره ، جاهل بعيوب نفسه (١) ، ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ أي: ولو أرخى ستوره ، والستر بلغة أهل اليمن : معذار ؛ قال الضحاك ، وقال الشاعر :

ولكنها ضَنَّتْ بِمنزِلِ ساعةٍ علينا وأَطَّتْ فوْقَهَا بالْمَعَاذِرِ

قال الزجاج : المعاذر : الستور ، والواحد معذار ؛ أي: وإن أرخى ستره ؛ يريد أن يخفي عمله، فنفسه شاهدة عليه ، وقيل : أي ولو اعتذر فقال: لم أفعل شيئًا ، لكان عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه ، فهو وإن اعتذر وجادل عن نفسه ، فعليه شاهد يكذب عذره ؛ قاله مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وأبو العالية وعطاء والفراء والسّدي أيضًا ومقاتل (٢) ، قال مقاتل : أي لو أدلى بعذر أو حجة لم ينفعه ذلك ، نظيره قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢] ، وقوله: ﴿وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦] فالمعاذير على هذا : مأخوذ من العذر ؛ قال الشاعر :

وإياكَ والأمرَ الذي إنْ تَوَسَّعَتْ مَوَارِدُهُ ضاقتْ عليكَ المصادِرُ
فما حَسَنٌ أن يَعْذِرَ المرءُ نفسَهُ وليس له مِن سائرِ الناسِ عاذر

واعتذر رجل إلى إبراهيم النخعي ،فقال له : قد عذرتك غير معتذر ، إن المعاذير يشوبها الكذب، وقال ابن عباس : ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ أي: لو تجرد من ثيابه (٣) ، حكاه الماوردي .

قلت: والأظهر أنه الإدلاء بالحجة والاعتذار من الذنب ، ومنه قول النابغة :

ها إنَّ ذي عِذْرَةٌ إلاَّ تكنْ نَفَعتْ فإنَّ صاحبَها مُشَارِكُ النَّكَدِ

والدليل على هذا قوله تعالى في الكفار : ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ، وقوله تعالى في المنافقين : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١٨] ، وفي الصحيح أنه يقول: « يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسولك ، وصليت وصمت وتصدّقتُ ، ويثني بخير ما استطاع» الحديث(٤) ، وقد تقدم في « حم السجدة » وغيرها ، والمعاذير والمعاذر : جمع معذرة ؛ ويقال : عذرته فيما صنع أعْذِره عُذْرًا وعُذُرًا ، والاسم المعْذرة والعُذْرى ؛ قال الشاعر:

إنِّي حُدِدْتُ ولا عُذْرَى لِمَحْدُودِ

وكذلك العذرة وهي مثل: الرُّكبة والجلسة ؛ قال النابغة :

ها إنْ تَاعِذْرَةٌ إلاّ تكُنْ نَفَعَتْ فإنّ صاحِبَها قَدْ تاه في البَلَدِ

(١) وكذا رواه قتادة كما في تفسير الطبري (٢٩/ ١٩٥) .

(٢) جمعها الطبري (٢٩/ ١٩٧) في تفسيره .

(٣) ضعيف جدًا : الطبري من طريق العوفيين (٢٩/ ١٩٦) في تفسيره .

(٤) صحيح : قطعة من حديث مسلم (٢٩٦٨/ ١٦) في الزهد والرقائق ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه .

وتضمنت هذه الآية خمس مسائل :

الأولى : قال القاضي أبو بكر بن العربى [١] : قوله تعالى : ﴿بَلِ الإنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ فيها دليل على قبول إقرار المرء على نفسه؛ لأنها شهادة منه عليها؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] ،ولا خلاف فيه ؛ لأنه إخبار على وجه تنتفى التهمة عنه ؛ لأن العاقل لا يكذب على نفسه ،و هى المسألة :

الثانية : وقد قال سبحانه فى كتابه الكريم : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١] ، ثم قال تعالى : ﴿وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة :١٠٢] ، وهو فى الآثار كثيـر ؛ قال النبيّ ﷺ : «واغْدُ يا أنَيس على امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها» [٢] ، فأما إقرار الغير على الغير بوارث أو ديـن فقال مالك : الأمر المجتمع عليه عندنا فى الرجل يهلك وله بنون ، فيقول أحـدهم : إن أبي قد أقـرّ أن فلانًا ابـنه ، أن ذلك النسـب لا يثبت بشـهادة إنسان واحد ، ولا يجـوز إقرار الذي أقر إلا على نفسـه فى حصته من مـال أبيه ، يعطى الذي شهد له قـدر الدين الذي يصيبه من المال الذي فى يده ، قال مالك : وتـفسير ذلك: أن يهلك الرجل ويترك ابنين ويترك ستـمائة دينار [فيأخذ كل واحد منهمـا ثلاث مائة دينار]، ثم يشهد أحدهما بأن أباه الهـالك أقر أن فلانًا ابنه ، فيكون على الذي شهد للذي اسـتحق مائة دينار ، وذلك نصف ميراث المستلحق لـو لحق ، وإن أقر له الآخر أخذ المائة الأخرى فاستكمل حـقّه وثبت نسبه ، وهو أيضًا بمنزلة المرأة تقر بالديـن على أبيها أو على زوجها وينكر ذلك الورثة ، فـعليها أن تدفع إلى الذي أقرت له قدر الذي يصيبهـا من ذلك الدين لو ثبت على الورثة كلهم ؛ وإن كانت امرأة فورثت الثمن دفعت إلى الغريم ثمن دينه ،وإن كانت ابنة ورثت النصف دفعت إلى الغريم نصف دينه ، على حساب هذا يدفع إليه من أقر له من النساء .

الثالـثة : لا يصح الإقرار إلا من مكلـف ، لكن بشرط ألا يكون محـجورًا عليه ؛ لأن الحـجر يسقط قوله: إن كان لحق نفسه ، فإن كان لحق غيره كالمريض كان منه ساقط ، ومنه جائز ، وبيانه فى مسائل الفقه ،وللعبد حالتان فى الإقرار : إحداهما : فى ابتدائه، ولا خلاف فيه على الوجه المتقدم، والثانية: فى انتهـائه وذلك مثل إبهام الإقرار ، وله صور كثيرة وأمـهاتها ستٌ : الصورة الأولى : أن يقول: له عندي شيء ، قال الشافعي : لو فسره بتمـرة أو كسرة قبل منه ، والذي تقتضيه أصولنا أنه لا يقبل إلا فيما له قدر ، فإذا فسره به قُـبل منه وحلف عليه. الصورة الثانية : أن يفسـر هذا بخمـر أو خنزير أو ما لا يكون مالاً فى الشريعة: لم يقبل باتفاق ولو ساعده عليه المقرّ له . الصورة الثالثة : أن يفسر بمختلف فيه مثل: جلد الميتة أو سرقين أو كلب ، فإن الحاكم يحكم عليه فى ذلك بما يراه من ردّ وإمضاء فإن رده لم يحكم عليه حاكم آخـر غيره بشيء ؛ لأن الحكم قد نفذ بإبطاله ، وقال بعض

---

(١) انظر: أحكام القرآن (٤/ ١٨٩٠) للقاضي ابن العربي المالكي .

(٢) متـفق عليـه : قطعة من حـديث رواه البخـاري (٦٨٢٧ ، ٦٨٢٨) في الحدود ، ومـسلم (١٦٩٧، ١٦٩٨) في الحدود ، عن أبي هريرة ، وزيد بن خالد الجهنى ـ رضي الله عنهما .

أصحاب الشافعي : يلزم الخمر والخنزير ؛ وهو قول باطل ، وقال أبو حنيفة : إذا قال له: على شيء لم يقبل تفسيره إلا بمكيل أو موزون ؛ لأنه لا يثبت فى الذمة بنفسه إلا هما ، وهذا ضعيف ؛ فإن غيرهما يثبت فى الذمة إذا وجب ذلك إجماعًا . الصورة الرابعة : إذا قال له: عندي مال قبل تفسيره بما يكون مالاً فى العادة كالدرهم والدرهمين ، ما لم يجئ من قرينة الحال ما يحكم عليه بأكثر منه. الصورة الخامسة : أن يقول له : عندي مال كثير أو عظيم ؛ فقال الشافعي : يقبل فى الحبّة ، وقال أبو حنيفة : لا يقبل إلا فى نصاب الزكاة ، وقال علماؤنا فى ذلك أقوالاً مختلفة ، منها نصاب السرقة والزكاة والدية وأقله عندي نصاب السرقة ؛ لأنه لا يبان عضو المسلم إلا فى مال عظيم، وبه قال أكثر الحنفية ، ومن تعجب فليتعجب لقول الليث بن سعد : إنه لا يقبل فى أقل من اثنين وسبعين درهما ، فقيل له: ومن أين تقول ذلك ؟ قال : لأن الله تعالى قال: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ [التوبة: ٢٥]، وغزواته وسراياه كانت اثنتين وسبعين ،وهذا لا يصح ؛ لأنه أخرج حنينا منها ، وكان حقه أن يقول يقبل فى أحد وسبعين ، وقد قال الله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] ، وقال: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ [النساء: ١١٤]، وقال: ﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٨] . الصورة السادسة : إذا قال له : عندي عشرة أو مائة أو ألف ، فإنه يفسرها بما شاء ويقبل منه ، فإن قال: ألف درهم أو مائة وعبد أو مائة وخمسون درهمًا فإنه يفسر المبهم ويقبل منه ، وبه قال الشافعي ، وقال أبو حنيفة: إن عطف على العدد المبهم مكيلا أو موزونا كان تفسيرًا ؛ كقوله : مائة وخمسون درهما ؛ لأن الدرهم تفسير للخمسين والخمسين تفسير للمائة،وقال ابن خيران الإصطخرى من أصحاب الشافعي: الدرهم لا يكون تفسيرًا فى المائة والخمسين إلا للخمسين خاصة ويفسر هو المائة بما شاء .

المسألة الرابعة : قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ ومعناه لو اعتذار بعد الإقرار لم يقبل منه ،وقد اختلف العلماء فيمن رجع بعد ما أقر فى الحدود التي هي خالص حق الله ؛فقال أكثرهم منهم الشافعي وأبو حنيفة : يقبل رجوعه بعد الإقرار ، وقال به مالك فى أحد قوليه ،وقال فى القول الآخر : لا يقبل إلا أن يَذْكُرَ لرجوعه وجهًا صحيحًا ، والصحيح جواز الرجوع مطلقًا ؛لما روى الأئمة منهم البخاري ومسلم أن النبي ﷺ رد المقرّ بالزنا مرارًا أربعًا ، كل مرة يعرض عنه،ولما شهد على نفسه أربع مرات دعاه النبي ﷺ ،وقال: « أبك جنون ؟ » ، قال: لا ،قال: « أحصنت؟ » قال: نعم [1] وفى حديث البخاري : « «لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت » [2] وفى النسائي وأبي داود : حتى قال له فى الخامسة «أنكتها ؟» قال : نعم ، قال: « حتى غاب ذلك منك في ذلك منها » قال: نعم، قال : « كما يغيب المرود فى المكحلة والرشاء فى البئر » ، قال : نعم ، ثم قال : « هل تدري ما الزنا » قال : نعم ؛ أتيت منها حرامًا مثل ما يأتى الرجل من أهله حلالاً ، قال : « فما تريد منى بهذا القول»؟ قال : أريد أن تطهرني. قال : فأمر به فرجم ،قال الترمذي وأبو داود : فلما وجد مس الحجارة فر يشتد ، فضربه رجل بلحى جمل ، وضربه الناس حتى مات ، فقال النبي ﷺ: «هلا تركتموه»، وقال أبو داود والنسائي : ليتثبت رسول الله ﷺ فأما لترك حد فلا [3] وهذا كله

(١ ـ ٣) متفق عليه : البخاري (٥٢٧١ ، ٦٨٢٥) في الحدود ، ومسلم (١٦٩١/ ١٦) في الحدود ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ، وأبو داود (٢٤٢٧) في الحدود ، والترمذي (١٤٢٨) في الحدود ، والنسائي (٧١٦٣) في الكبرى ،والمرود : الميل الذي يكتحل به. اللسان« رود »، والرشاء : الحبل. اللسان«رشا» .

طريق للرجوع وتصريح بقبوله ،وفى قوله عليه الصلاة والسلام : « لعلك قبلت أو غمزت » إشارة إلى قول مالك : إنه يقبل رجوعه إذا ذكر وجها.

الخامسة : وهذا فى الحر المالك لأمر نفسه ، فأما العبد، فإن إقراره لا يخلو من أحد قسمين: إما أن يقر على بدنه ، أو على ما في يده وذمته ، فإن أقر على بدنه فيما فيه عقوبة من القتل نفذ ذلك عليه ،وقال محمد بن الحسن: لا يقبل ذلك منه ؛ لأن بدنه مستغرق لحق السيد ،وفى إقراه إتلاف حقوق السيد فى بدنه ، ودليلنا قوله ﷺ : « من أصاب من هذه القاذورات شيئًا فليستتر بستر الله ، فإن من يبد لنا صفحته نقم عليه الحد » [(١)] المعنى: أن محل العقوبة أصل الخلقة ، وهى الدمية فى الآدمية ، ولا حق للسيد فيها ، وإنما حقه فى الوصف والتبع ، وهي المالية الطارئة عليه ؛ ألا ترى أنه لو أقر بمال لم يقبل ، حتى قال أبو حنيفة : إنه لو قال :سرقت هذه السلعة إنه لم تقطع يده ويأخذها المقر له ، وقال علماؤنا : السلعة للسيد ويبيع العبد بقيمتها إذا عتق ؛ لأن مال العبد للسيد إجماعًا ، فلا يقبل قوله فيه ولا إقراره عليه ، لا سيما وأبو حنيفة يقول : إن العبد لا ملك له ، ولا يصح أن يملك ولا يملك ونحن وإن قلنا : إنه يصح تملكه ، ولكن جميع ما فى يده لسيده بإجماع على القولين ، والله أعلم .

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ فى الترمذي : عن سعيد بن جبير ،عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه القرآن يحرك به لسانه ، يريد أن يحفظه ، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ، قال : فكان يحرك به شفتيه [(٢)] ،وحرك سفيان شفتيه ، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح ، ولفظ مسلم عن ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، كان يحرك شفتيه ، فقال لى ابن عباس : أنا أحركهما كما كان رسول الله ﷺ يحركهما ؛ فقال سعيد : أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحركهما ، فحرك شفتيه ؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، قال: جمعه فى صدرك ثم تقرؤه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ ، قال: فاستمع له وأنصت ، ثم علينا أن نقرأه ؛ قال: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليهما السلام استمع ، وإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبي ﷺ كما أقرأه ، خرجه البخارى أيضًا [(٣)] ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ [طه: ١١٤] ،وقد تقدم ،وقال عامر الشعبي [(٤)] : إنما كان يعجل بذكره إذا نزل عليه من

---

(١) صحيح : صححه الألباني بنحوه (١٤٩) في صحيح الجامع من رواية الحاكم ، والبيهقي ، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما .

(٢، ٣) متفق عليه: البخاري (٥) في بدء الوحى ، و(٤٩٢٧ـ ٤٩٢٩) في التفسير، (٧٤٣٥) في التوحيد ، ومسلم (٤٤٨/ ١٤٧) في الصلاة، والترمذي في التفسير(٣٣٢٩) .

(٤) هذا مرسل وهو حسن إلى الشعبي : الطبري (٢٩/ ١٩٨) في تفسيره .

حبه له وحلاوته فى لسانه ، فنهى عن ذلك حتى يجتمع ؛ لأن بعضه مرتبط ببعض ، وقيل : كان عليه السلام إذا نزل عليه الوحي حرك لسانه مع الوحي مخافة أن ينساه ، فنزلت : ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤] ونزل ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾ [الأعلى: ٦] ونزل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾، قاله ابن عباس [١]، ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أى قراءته عليك، والقراءة والقرآن فى قول الفراء مصدران، وقال قتادة [٢]: ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أى فاتبع شرائعه وأحكامه ، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أى تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام ؛ قاله قتادة ، وقيل : ثم إن علينا بيان ما فيه من الوعد والوعيد وتحقيقهما، وقيل : أى إن علينا أن نبينه بلسانك .

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ قال ابن عباس [٣]: أى: إن أبا جهل لا يؤمن بتفسير القرآن وبيانه ، وقيل :أى: ﴿كَلَّا﴾ لا يصلون ولا يزكون يريد كفار مكة، ﴿بَلْ تُحِبُّونَ﴾ أى: بل تحبون يا كفار أهل مكة ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ أى: الدار الدنيا والحياة فيها ﴿وَتَذَرُونَ﴾ أى: تدعون ﴿الْآخِرَةَ﴾ والعمل لها ، وفى بعض التفسير ، قال: الآخرة : الجنة، وقرأ أهل المدينة الكوفيون ﴿بَلْ تُحِبُّونَ﴾ ﴿وَتَذَرُونَ﴾ بالتاء فيهما على الخطاب واختاره أبو عبيد ،قال :ولولا الكراهة لخلاف هؤلاء القراء لقرأتها بالياء ؛ لذكر الإنسان قبل ذلك الباقون بالياء على الخبر [٤]، وهو اختيار أبي حاتم ، فمن قرأ بالياء فردًا على قوله تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ﴾وهو بمعنى الناس ،ومن قرأ بالتاء فعلى أنه واجههم بالتقريع ؛لأن ذلك أبلغ فى المقصود ؛ نظيره : ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧] .

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ الأول: من النضرة التي هي الحسن والنعمة، والثاني: من النظر أى: وجوه المؤمنين مشرقة حسنة ناعمة ، يقال : نضرهم الله ينضرهم نضرة ونضاره وهو الإشراف والعيش والغنى ؛ ومنه الحديث: « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها » (٥) ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ إلى خالقها ومالكها ﴿نَاظِرَةٌ﴾ أى: تنظر إلى ربها على هذا جمهور العلماء ، وفى الباب حديث صهيب خرجه مسلم وقد مضى فى « يونس » عند قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]،وكان ابن عمر يقول : أكرم أهل الجنة على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية؛ ثم تلا هذه الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ،وروى يزيد النحوى عن عكرمة قال: تنظر إلى ربها نظرًا ، وكان الحسن يقول : نضرت وجوههم ونظروا إلى ربهم [٦].

(١) صحيح : انظر: قبل السابق ، وإن كان الطبري قد رواه من طريق آخر ، عن ابن حميد وهو إسناد ضعيف .

(٢) صحيح إلى قتادة : الطبري (٢٩/ ٢٠٠) في تفسيره ورجحه الطبري: في تفسيره .

(٣)معنى غريب ولا أراه يصح ، وانظر: الطبري (٢٩/ ٢١٢) ابن عباس ـ رضي الله عنهما.

(٤) قراءة متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٨٤) .

(٥) صحيح : وقد سبق تخريجه ، ورواه ابن ماجه (٢٣٠) في المقدمة ، عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ، وأحمد (١/ ٤٣٧) في المسند .

(٦) صحيح إلى عكرمة : الطبري (٢٩/ ٢٠٢، ٢٠٣) في تفسيره .

وقيل : إن النظر هنا انتظار ما لهـم عند الله من الثواب ، وروى عن ابن عمر ومـجاهد [١] ، وقال عكرمة : تنتظر أمر ربها [٢] ، حكاه الماوردي عن ابن عمر وعكرمة أيضًـا ، وليس معروفًا إلا عن مجاهد وحده [٣] ، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الأنعام:١٠٣] وهذا القول ضعـيف جدًا ، خارج عن مقتـضى ظاهر الآية والأخبار ،وفى الترمذي عن ابن عـمر ،قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجـه وخدمه وسرره مـسيرة ألف سنة ،وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غـدوة وعشيـة » ،ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ، قال : هذا حديـث غريب وقد روى عن ابن عمر ولـم يرفعه[٤] ، وفى صحيـح مسلم عن أبي بكر بن عبد الله بن قـيس ، عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « جنتان من فضة آنيتهما ومـا فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فـيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم جل وعز إلا رداء الكبرياء على وجـهه فى جنة عدن » [٥] ،وروى جرير بن عبـد الله قال : كنا عند رسول الله ﷺ جلوسًا ، فنظر إلى القمـر ليلة البدر فقال: « إنكم سترون ربكم عـيانا كما ترون هذا القمر ، لا تضامون فـى رؤيته ؛ فإن استطعتم إلا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشـمس وقبل غروبها فافعلوا» ، ثم قرأ : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ متفق عليه [٦]، وخرجه أيضًا أبو داود والتـرمذي وقـال :حديث حـسن صحـيح ، وخرج أبو داود عن أبي رزين العـقيلـي ، قال: قلت:يا رسول الله أكلنا يرى ربه ؟ قال ابن معاذ: مخـليًا به يوم القيامة ؟ قال : « نعم يا أبا رزين » قال :وما آية ذلك فى خلقه ؟ قال: « يا أبا رزين أليس كلكم يرى القـمر » قال ابن معاذ : ليلة البدر مخليًا به ، قلنا : بلى ، قال: « فالله أعظم » ، قال ابن معاذ : قال : « إنما هو خلق من خلق الله، يعني القمر ـ فالله أجل وأعظم » [٧] ،وفى كتاب النسائي عن صهـيب ، قال: « فيكشف الحجـاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيـئًا أحب إليهم من النظر ، ولا أقر لأعينهم » [٨] وفى التفسير لأبي إسحاق الثعلبي عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : «يتجلى ربنا عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه، فـيخرون له سجدا ، فـيقول :ارفعوا رؤوسكم، فليس هذا بيـوم عبادة » [٩] قال الثـعلبي : وقول مـجاهد : إنهـا بمعنى: تنتظر الثـواب من ربها ولا يراه شيء من خلقـه ، فتـأويل مـدخول؛ لأن العـرب إذا أرادت بالنظر الانتظار قـالوا : نظرته ؛ كمـا قال تعـالى :﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ﴾ [الزخرف:٦٦]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف:٥٣] ، و﴿مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس:٤٩]

(١ ـ ٣) معنى بعيد ومخالف لعقيدة السلف : انظر: الطبري (٢٩/ ٢٠٣) وضعف المصنف هذا الكلام .

(٤) ضعيف : الترمذي (٣٣٣٠، ٣٣٣٠مكرر في التفسير ،وضعفه الألباني (١٩٨٥) في الضعيفة ، ورجّح الترمذي وقفه وإن كان ضعيفًا موقوفًا أيضًا .

(٥) متفق عليه : البخاري (٤٨٧٨) في التفسير ، ومسلم (١٨٠) في الإيمان .

(٦) صحيح : البخاري (٥٥٤) في مواقيت الصلاة ، ومسلم (٦٣٣) في المساجد ومواضع الصلاة .

(٧) حسن : أبو داود (٤٧٣١) في السنة ، وابن ماجه (١٨٠) في المقدمة .

(٨) صحيح : مسلم (١٨١) في الإيمان ، والترمذي (٢٥٥٢) في الجنة ، والنسائي (٧٧٦٦) في الكبرى .

(٩) ضعيف : الدارقطني حديث رقم(٦٢) فى الرؤية ط مكتبة القرآن ـ وسنده ضعيف.

وإذا أرادت به التفكيـر والتدبر قالوا : نظرت فـيه ، فأما إذا كـان النظر مقرونًا . بذكـر إلى ، وذكر الوجه فلا يكون إلا بمعنى الرؤية والعيان ، وقال الأزهري : إن قول مجاهد: تنتظر ثواب ربها خطأ ؛ لأن لا يقال: نظر إلى كذا ، بمعنى الانتظار ، وإن قول القائل : نظرت إلى فلان ليس إلا رؤية عين، كذلك تقوله العرب ؛ لأنهم يقولون : نظرت إليه : إذا أرادوا نظر العين ، فإذا أرادوا الانتظار قالوا: نظرته [(١)] ، قال :

فَإِنَّكُمَا إِنْ تَنْظُرانِيَ ساعةً مِن الدَّهْرِ تَنْفَعَنِي لَدَى أُمِّ جُنْدُبِ

لما أراد الانتظار قال: تنظرانى ، ولم يقل : تنظران إلى ؛ وإذا أرادوا نظر العين، قالوا : نظرت إليه ؛ قال :

نظرتُ إليها والنُّجُومُ كأنَّها مَصابِيحُ رُهْبانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ

وقال آخر :

نظرتُ إليها بالمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى ولِي نَظَرٌ لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ

وقال آخر :

إِنِّي إليكَ لِمَا وَعَدتَ لَنَاظِرٌ نَظَرُ الفقيرِ إلى الغنيِّ المُوسِرِ

أى : إني أنظر إليك بذل ؛ لأن نظر الذل والخضوع أرق لقلب المسؤول ؛ فإما ما استدلوا به من قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فإنما ذلك فى الدنيا ، وقد مضى القول فيه فى موضعه مستوفى [(٢)] ، وقال عطية العوفى : ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته، ونظره يحيط بـهم؛ يدل عليه : ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال القشـيري أبو نصر: وقيـل « ألى » واحد الآلاء : أى: نعمه منتظرة ،وهذا أيضًـا باطل ؛ لأن واحد الآلاء يكتب بالألف لا باليـاء ، ثم الآلاء : نعمة الدفـع ، وهم فى الجنة لا ينتظرون دفع نعمـه عنهم ، والمنتظر للشىء متنغص العـيش ، فلا يوصف أهل الجنة بذلك ،وقيل : أضـاف النظر إلى الوجه؛ لأن العين في الوجه ، وهو كقوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [المائدة: ١١٩] والماء يجرى فى النهر، لا النهر، ثم قد يذكر الوجـه بمعنى: العين ؛ قال الله تعالى: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٣] أى:

---

(١) وعقـيدة السلف في النظر لخصهـا الأئمة فقـالوا : المؤمنون يرون ربهم عيانًا يوم القـيامة بأبصارهم ، كـما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سـحاب ، أو كما يرون القمر ليلة البدر ، يرونه سبحانه في عـرصات القيامة ـ يعنى في أماكنهـا الفسيحـة الواسعة ـ كـما قال تعالـى عن المكذبين بيوم الدين : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] ، ثم يرونه كذلك بعـد دخول الجنة ،وأمّا الكافـرون فلا يرون ربهم مطلقـًا ،وقيل: يرونه ، لكن رؤيا غضب وعقـوبة ، ولكن ظاهر الأدلة يدل على أنهم لا يرونه سبحانـه بقوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، وأما المنافقون فإنهم يرون الله تعالى في عرصات القيامة ، ثم يحتجب عنهم ولا يرونه بعد ذلك . ورؤية المؤمنين لله تعالى كمـا شاء سبحانه في كيـفية رؤياه ،وكما يشاء فـي زمن رؤيتهم إياه ـ يعنى على الوجه الذي يشاء سبحانه بكيـفية لا يعلمها إلا هو عزّ وجل). شرح الواسطية ـ لابن عـثيمين ـ رحمه الله ص ٣٠٠، ٣٠١ بتصرف .

(٢) انظر: سورة الأنعام الآية (١٠٣) .

على عينيه ، ثم لا يبعد قلب العادة غدًا ، حتى يخلق الرؤية والنظر فى الوجه ؛ وهو كقوله تعالى : ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ [الملك: ٢٢] فقيل : يا رسول الله ! كيف يمشون فى النار على وجوههم ؟ قال : « الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم [١] ، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ أى: وجوه الكفار يوم القيامة كالحة كاسفة عابسة ، وفى الصحاح : وبسر الفحل الناقة وابتسرها : إذا ضربها من غير ضبعة ، وبسر الرجل وجهه بسورًا أى : كلح : يقال: عبس وبسر ، وقال السدى : ﴿ بَاسِرَةٌ﴾ أى: متغيرة والمعنى واحد ، ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أى: توقن وتعلم ،والفاقرة : الداهية والأمر العظيم ؛ يقال : فقرته الفاقرة : أى: كسرت فقار ظهره ، قال معناه مجاهد وغيره ،وقال قتادة : الفاقرة : الشرّ ، والسدي : الهلاك ، وابن عباس وابن زيد : دخول النار [٢] ،والمعنى متقارب، وأصلها الوسم على أنف البعير بحديدة أو نار حتى يخلص إلى العظم ؛ قاله الأصمعي ، يقال : فقرت أنف البعير : إذا حززته بحديدة ، ثم جعلت على موضع الحز الجرير [٣] ،وعليه وَتَرٌ ملوى، لتذلله بذلك وتروضه ؛ ومنه قولهم : قد عمل به الفاقرة ، وقال النابغة :

أَبَى لِيَ قَبْرٌ لا يَزالُ مُقَابِلِي وضَرْبَةُ فَأْسٍ فوقَ رَأْسِيَ فَاقِرَهْ

أى: كاسرة .

﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ۝ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ ﴿كَلَّآ﴾ ردع وزجر ؛ أى: بعيد أن يؤمن الكافر بيوم القيامة، ثم استأنف ،فقال :﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ أى بلغت النفس أو الروح الترافى، فأخبر عما لم يجر له ذكر، لعلم المخاطب به ؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص٣٢] ،وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣] وقد تقدم ، وقيل : ﴿كَلَّآ﴾ معناه حقًا ؛ أي: حقًا أن المساق إلى الله ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ أى: إذا ارتقت النفس إلى الترافى ، وكان ابن عباس يقول: إذا بلغت نفس الكافر التراقي [٤] والتراقي: جمع ترقوة :وهي العظام المكتنفة لنقرة النحر ،وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر، موضع الحشرجة ؛ قال دريد ابن الصمة .

وربَّ عَظِيمةٍ دافَعْتُ عَنْهُمْ وقَدْ بَلَغَتْ نُفُوسُهُمُ التَّرَاقِي

وقد يكني عن الإشفاء [٥] على الموت ببلوغ النفس التراقي ، والمقصود تذكيرهم شدّة الحال عند

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٧٦٠) في التفسير ،ومسلم (٢٨٠٦/ ٥٤) في صفات المنافقين ، عن أنس ـ رضي الله عنه.

(٢) كذا عند الطبري (٢٩/ ٢٠٥) في تفسيره .

(٣) الجرير : حبل الزمام ، وقيل : حبل من آدم يخطم به البعيراللسان « جرر » .

(٤) ضعيف : بنحوه عند الطبري (٢٩/ ٢٠٥) في تفسيره ، وفيه أبو هشام وهو الرفاعي : ليس بالقوى .

(٥) الإشفاء : يقال أشفى على الشيء : أشرف عليه ؛ كقولهم : أشفى المريض على الموت (مختار الصحاح (ص١٤٤).

نزول الموت .

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ اختلف فيه ؛ فقيل : هو من الرقية ؛ وروى ميمون عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما [١] . روى سماك عن عكرمة قال : من راقٍ يرقى : أي: يشفى [٢] ،وروى ميمون ابن مهران عن ابن عباس : أي: هل من طبيب يشفيه ، وقاله أبو قلابة وقتادة [٣] ؛ وقال الشاعر :

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقِ أَمْ هَلْ لَه مِنْ حِمَامِ الْمَوْتِ مِنْ رَاقِ

وكان هذا على وجه الاستبعاد واليأس ؛ أي: من يقدر أن يرقى من الموت ، وعن ابن عباس أيضًا وأبي الجوزاء أنه من رقى يرقى: إذا صعد ، والمعنى: من يرقى بروحه إلى السماء ؟ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ وقيل : إن ملك الموت يقول: من راق ؟ أي: من يرقى بهذه النفس ، وذلك أن نفس الكافر تكره الملائكة قربها ، فيقول ملك الموت : يا فلان أصعد بها ، وأظهر عاصم وقوم: النون فى قوله تعالى: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ واللام فى قوله: ﴿ بَلْ رَانَ﴾ لئلا يشبه مرَّاق وهو بائع المرقة، وبَرَّان فى تثنية البر، والصحيح ترك الإظهار ، وكسرة القاف فى ﴿من راقٍ﴾ ، وفتحة النون فى ﴿ بَلْ رَانَ﴾كفى فى زوال اللبس ،وأمثل مما ذكر : قصد الوقف على ﴿مَنْ﴾ و ﴿ بَلْ ﴾، فأظهرهما؛ قاله القشيري . قوله تعالى :﴿وَظَنَّ﴾أي: أيقن الإنسان ﴿أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ أي: فراق الدنيا والأهل والمال والولد، وذلك حين عاين الملائكة ، وقال الشاعر:

فِرَاقٌ ليس يُشبِهُهُ فِرَاقُ قد انقطع الرجاءُ عن التَّلاَقِ

﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ أي: فاتصلت الشدة بالشدة ؛ شدة آخر الدنيا بشدة أوّل الآخرة ؛ قاله ابن عباس والحسن وغيرهما [٤] ،وقال الشعبي وغيره : المعنى التفت ساقا الإنسان عند الموت من شدة الكرب [٥] ،وقال قتادة: أما رأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجليه على الأخرى [٦] ، وقال سعيد بن المسيب والحسن أيضًا : هما ساقا الإنسان إذا التفتا فى الكفن [٧] ،وقال زيد بن أسلم: التفت ساق الكفن بساق الميت [٨] ،وقال الحسن أيضًا : ماتت رجلاه ويبست ساقاه فلم تحملاه ، ولقد كان عليهما جوالا [٩] ، قال النحاس : القول الأول أحسنها ، وروى على بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ قال : آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة ،فتلتقى

(١) أما قول عكرمة فهو عن سماك وفيه اضطراب ،وانظر: الطبري (٢٩/ ٢٠٥) ،وقول ابن عباس رواه ابن أبي حاتم بسند فيه روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي ، يروى الموضوعات عن الثقات ؛ لا تحل الرواية عنه .

(٢) انظر السابق كما في الميزان (٣/ ١٩١)وانظر: تفسير ابن كثير(٨/ ٢٢١).

(٣) صحيح إليهما : الطبري (٢٩/ ٢٠٦) في تفسيره .

(٤) أما قول ابن عباس فضعيف فهو من طريق العوفيين .
وقول الحسن إليه صحيح ورواهما الطبري (٢٩/ ٢٠٧) في تفسيره ، واختاره الطبري .

(٥) حسن إليه : الطبري (٢٧/ ٢٠٩) في تفسيره .

(٦) حسن إليه : السابق (٢٧/ ٢٠٩) في تفسيره .

(٧) حسن : وفيه بشير بن المهاجر تكلم فيه أحمد ، وأبو حاتم ، وابن عدي ووثقه ابن معين ، وانظر: الطبري (٢٩/ ٢٠٨) .

(٨) رواه الطبري عن ابن زيد كما في تفسيره(٢٩/ ٢٠٩) .

(٩) إنما وجدته عن قتادة بسند صحيح إليه كما في تفسير الطبري (٢٩/ ٢٠٩) .

بالشدّة إلا من رحمه الله ؛ أى: شدّة كـرب الموت بشدة هول المطلع ؛والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (١) ،وقال مجـاهد : بلاء ببلاء (٢)، يقول :تتـابعت عليه الشـدائد ،وقال الضحاك وابن زيد (٣): اجتمـع عليه أمران شديدان : الناس يجـهزون جسده ،والملائكة يـجهزون روحه ،والعرب لا تذكر الساق إلا فى المحن والشـدائد العظام ؛ومنه قولهم :قامت الدنيا على ساق، وقامت الحرب على ساق ، قال الشاعر:

وقامت الحربُ بنا على ساق

وقد مضى هذا المعنى فى آخر سورة «ن والقلم» (٤)وقال قوم : الكافر تعذب روحه عند خروج نفسـه ، فهـذه الساق الأولى ، ثم يكون بعـدها ساق البـعث وشدائده ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أى: إلى خالقك ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الْمَسَاقُ﴾ أي: المرجع ، وفي بعض التفاسيـر قال: يسوقه ملكه الذي كان يحفظ عليه السيئات ،والمساق : المصدر من ساق يسوق ،كالمقال من قال يقول.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ۝ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ أي: لم يصدق أبو جهل ولم يصل ، وقيل : يرجع هذا إلى الإنسان فى أوّل السـورة ،وهو اسم جنس ،والأول قول ابن عـباس (٥)، أى: لم يصدق بـالرسالة ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ ودعا لربه ،وصلى على رسوله ،وقال قتادة (٦): فلا صدق بكتاب الله ولا صلى لله ، وقيل: ولا صدق بمال لـه ذُخراً له عند الله ،ولا صلى الصلوات التي أمره الله بهـا، وقيل: فلا آمن بقلبه ولا عمـل ببدنه ، قال الكسائي: « لا» بمعنى لم ولكنه يقـرن بغيره؛ تقول العـرب: لا عبدُ الله خارج ولا فلان ، ولا تقـول :مررت برجل لا محسن حـتى يقال ولا مجمل ، وقـوله تعالى:﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد:١١]ليس من هذا القبيل ؛ لأن مـعناه أفلا اقتحم ؛ أي: فهلا اقـتحم ، فحذف ألف الاستـفهام ، وقـال الأخفش:﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ أي: لم يصدق ؛ كـقوله : « فلا اقـتحم » أي: لم يقتحم ، ولم يشترط أن يعقبه بشيء آخر ، والعرب تقول : لا ذهب ، أى لم يذهب ، فحرف النفى ينفى الماضى كما ينفى المستقبل ؛ ومنه قول زهير :

فَلاَ هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمِ

قـوله تعـالى: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أى: كـذب بالقـرآن ،وتولى عن الإيمان ،﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾ أى: يتبـختر ، افتخـاراً بذلك ؛ قاله مجاهـد وغيره (٧)مجـاهد: المراد به أبو جهل (٨)،

(١) منقطع :بين علي بن أبي طلحة ، وابن عباس ـ رضي الله عنهما ،وانظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٢١) .
(٢)كذا عند الطبري (٢٩/ ٢١٠) في تفسيره .
(٣) ضعيف إلى الضـحاك :فى إسناده (يحيى بن يمان) كـما عند الطبري (٢٩/ ١٠٧) وقد ضعف الأئـمة يحيى كما قال ابن معين والنسائي ، وانظر: الميزان (٧/ ٢٣٠) .
(٤)انظر: الآية (٤٢) من سورة القلم .
(٥)أما نسبته لأبي جهل ففيه إسناد صحيح كما عند ابن كثير (٨/ ٢٢٢) وسيأتى .
(٦) صحيح إلى قتادة :الطبري (٢٩/ ٢١٠) في تفسيره.
(٧) ضعيف :فيه موسى بن عبيدة وهو الرَّبذي : ضعيف جدًا ، وذكره الطبري (٢٩/ ٢١١) في تفسيره .
(٨) صحيح إلى مجاهد :انظر: الطبري (٢٩/ ٢١١) .

وقيل: ﴿يَتَمَطَّىٰ﴾ من المطا وهو الظهر ،والمعنى: يلوى مطاه ، وقيل: أصله يتمطط ، وهو التمدد من التكسل والتثاقل ، فهو يتثاقل عن الداعى إلى الحق ، فأبدله من الطاء ياء كراهة التضعيف ، والتمطى يدل على قلة الاكتراث ، وهو التمدد ، كأنه يمد ظهره ويلويه من التبختر ، والمطيطة: الماء الخاثر فى أسفل الحوض ؛ لأنه يتمطى أي: يتمدد ؛ وفى الخبر : « إذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم كأن بأسهم بينهم » [١] ،والمطيطاء: التبختر ومد اليدين فى المشى ، قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ : تهديد بعد تهديد ، ووعيد بعد وعيد أى: فهو وعيد أربعة لأربعة؛ كما روى أنها نزلت فى أبي جهل الجاهل بربه [٢] فقال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: لا صدق رسول الله ،ولا وقف بين يدى فصلى ، ولكن كذب رسولى ، وتولى عن التصلية بين يدى ، فترك التصديق خصلة ، والتكذيب خصلة ، وترك الصلاة خصلة ، والتولى عن الله تعالى خصلة ، فجاء الوعيد أربعة مقابلة لترك الخصال الأربعة،والله أعلم ، لا يقال : فإن قوله : ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾ خصلة خامسة ؛ فإنا نقول : تلك كانت عادته قبل التكذيب والتولى ، فأخبر عنها ، وذلك بيِّنٌ في قول قتادة على ما نذكره ، وقيل : إن رسول الله ﷺ خرج من المسجد ذات يوم فاستقبله أبو جهل على باب المسجد ، مما يلى باب بنى مخزوم ، فأخذ رسول الله ﷺ بيده ، فهزه مرة أو مرتين ثم قال: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ فقال له أبو جهل : أتهددنى ؟ فوالله إني لأعز أهل الوادي وأكرمه ، ونزل على رسول الله ﷺ كما قال لأبي جهل [٣] وهي كلمة وعيد ، قال الشاعر:

فَأَوْلَى ثم أَوْلَى ثم أَوْلَى وهَلْ لِلدَّرِّ يُحْلَبُ من مَرَدَّ

قال قتادة : أقبل أبو جهل بن هشام يتبختر ، فأخذ النبى ﷺ بيده فقال : « **أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ**» ، فقال : ما تستطيع أنت ولا ربك لى شيئًا ، إني لأعز من بين جبليها ، فلما كان يوم بدر أشرف على المسلمين فقال : لا يعبد الله بعد هذا اليوم أبدًا فضرب الله عنقه ، وقتله شر قتله، [٤]وقيل : معناه : الويل لك ؛ ومنه قول الخنساء :

هَمَمْتُ بنفسيَ كُلَّ الهُمُومِ فَأَوْلَى لِنَفْسِيَ أَوْلَى لَهَا
سَأَحْمِلُ نفسي على آلةٍ فإمَّا عليها وإمَّا لَهَا

الآلة : الحالة ، والآلة : السرير أيضًا الذي يحمل عليه الميت ، وعلى هذا التأويل قيل : هو من المقلوب ؛ كأنه قيل : أويل ، ثم أخر الحرف المعتل ،والمعنى: الويل لك حيًا ، والويل لك ميتًا ، والويل لك يوم البعث ،والويل لك يوم تدخل النار ، وهذا التكرير كما قال :

لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي

أي: لك الويل ، ثم الويل ، ثم الويل،وضعف هذا القول ، وقيل: معناه الذم لك أولى من تركه ، إلا أنه كثير في الكلام فحذف ، وقيل : المعنى أنت أولى وأجدر بهذا العذاب ، وقال أبو

---

(١) صحيح : الترمذي (٢٢٦١) في الفتن ، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ، وصححه الألباني (٢٢٦١، ٢٢٦١ مكرر) هناك ، و(٩٥٤) في الصحيحة .

(٢، ٣) سيأتى تخريجه وانظر الطبري (٢٩/ ٢١٠).

(٤) مرسل : الطبري (٢٩/ ٢١١، ٢١٢) ، وعبد الرزاق (٣٤١٩) في تفسيره .

العباس أحمد بن يحيى : قال الأصمعي ﴿ أَوْلَىٰ ﴾ في كلام العرب معناه : مقاربة الهلاك ،كأنه يقول: قد وليت الهلاك ، وقد دانيت الهلاك ؛ وأصله من الولى ، وهو القرب ؛ قال الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة] أي: يقربون منكم ، وأنشد الأصمعي :

وَأَوْلَى أن يكون له الولاَءُ

أي: قارب أن يكون له ؛ وأنشد أيضًا :

أَوْلَى لِمَنْ هاجَتْ لَهُ أَنْ يَكْمَدَا

أي: قد دنا صاحبها من الكمد ، وكان أبو العباس ثعلب يستحسن قول الأصمعي، ويقول: ليس أحد يفسر كتفسير الأصمعي. النحاس: العرب تقول: أولى لك : كدت تهلك ثم أفلت ، وكأن تقديره : أولى لك وأولى بك الهلكة. المهدوى قال: ولا تكون أولى أفعل منك ، وتكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : الوعيد أولى له من غيره ؛ لأن أبا زيد قد حكى: أولاة الآن : إذا أوعدوا ، فدخول علامة التأنيث دليل على أنه ليس كذلك ،و﴿ لَكَ ﴾ خبر عن ﴿أَوْلَىٰ﴾ ، ولم ينصرف ﴿أَوْلَىٰ﴾ لأنه صار علمًا للوعيد ، فصار كرجل اسمه أحمد ، وقيل : التكرير فيه على معنى الذم لك على عملك السيئ الأول ، ثم على الثانى والثالث، والرابع ،كما تقدم .

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ﴾ أى يظن ابن آدم ﴿أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ أى: أن يخلى مهملا ، فلا يؤمر ولا ينهى ؛ قاله ابن زيد ومجاهد[1] ، ومنه إبل سدى: ترعى بلا راع ، وقيل: أيحسب أن يترك فى قبره كذلك أبدًا لا يبعث .

وقال الشاعر:

فأُقسمُ بالله جهدَ اليَمين ما تَرَكَ الله شيئاً سُدَى

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ أى: من قطرة ماء تمنى فى الرحم، أى: تراق فيه ؛ ولذلك سميت منى لإراقة الدماء ،وقد تقدم ،والنطفة: الماء القليل؛ يقال: نطف الماء: إذا قطر، أى ألم يك ماء قليلا فى صلب الرجل وترائب المرأة ،وقرأ حفص « من منى يمنى » بالياء وهي قراءة ابن محيصن ومجاهد ويعقوب وعياش عن أبي عمرو ، واختاره أبو عبيد لأجل المنى، الباقون بالتاء[2] لأجل النطفة ،واختاره أبو حاتم ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ أى دما بعد النطفة ، أى: قد نبه تعالى بهذا كله على خسة قدره ، ثم قال :﴿فَخَلَقَ﴾ أى: فقدر، ﴿فَسَوَّىٰ﴾ أي: فسواه تسوية، وعدله تعديلا ، بجعل الروح فيه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ أى: من الإنسان ، وقيل: من المنى ،﴿الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ﴾ أى: الرجل

(١) صحيح إليهما : الطبري (٢٩/ ٢١٢، ٢١٣) في تفسيره .

(٢) قراءة متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٨٥) .

والمرأة ،وقد احتج بهذا من رأى إسقـاط الخنثي ، وقد مضى فى سورة « الشورى »(١) أن هذه الآية وقرينتها إنما خرجتا مخرج الغـالب ، وقد مضى فى أوّل سورة «النساء » أيضًا القول فيه(٢) ، وذكرنا فى آية المواريث حكمه ، فلا معنى لإعادته: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾أي: أليس الذي قدرَ على خلق هذه النسمة من قطرة من ماء ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ أى: على أن يعيـد هذه الأجسام كهيـئتها للبـعث بعد البلى، وروى عن رسـول الله ﷺ أنه كان إذا قرأها قـال: « سبحـانك اللهم ،بلى »(٣) ،وقال ابن عباس : من قرأ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١﴾ إمامًا كان أو غيـره فليقل : سبحان ربي الأعلى ، ومن قرأ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ إلى آخرها إمـاما كان أو غـيره فليقل: « سـبحانـك اللهم ، بلى. ذكره الثعلبي من حديث أبي إسحاق السبيعي ،عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس(٤) .

ختمت السورة والحمد لله.

---

(١) ارجع إلى الآية (٥٠) من سورة الشورى .

(٢) الآية (١) من سورة النساء .

(٣، ٤) صحيح : حديث صححه الألباني (٨٢٧) في صحيح أبي داود ، وعزاه ابن كثير (٨/ ٢٢٣) في تفسيره لابن أبي حاتم في تفسـيره ،وذكره الألباني في صفـة الصلاة (ص١٠٥) ،وعزاه لأبي داود والبيهـقي ـ رحمه الله .